**الفكر الجزائري المعاصر ــ مولود قاسم نموذجا ــ**

مولود قاسم نايت بلقاسم من أهم الشخصيات التي تركت بصمتها في تاريخ الجزائر، كان له دورا في الحقل العلمي بكتابة التاريخ بأسس صحيحة، بالإضافة إلى دوره في  النضال السياسي للتعريف بالثورة في المحافل الدولية وتمثيلها أحسن تمثيل.

**أولا: من هو مولود قاسم ؟**

ولد مولود قاسم يوم 06 جانفي 1927 في قرية "بلعيال" بلدية أقبو ولاية بجاية، وقد تزوج بامرأة محافظة من عائلة شريفة بمدينة تنس، وهي تحمل شهادة الليسانس في علم التاريخ وتعمل أستاذة في الثانوية، وقد أنجب منها ابنه الذي صار طبيبا الآن "يوغرطا" وطفلة سماها "جزائر"، بالإضافة إلى ثمانية أطفال في الكفالة.

 حفظ القرآن في زاوية "تاموقرة"، ثم التحق بعد ذلك بمدرسة قلعة بني عباس العصرية التي كانت تشرف عليها جمعية العلماء آنذاك. رحل بعدها إلى تونس طلبا للعلم من جامع الزيتونة العريقة الذي تخرج منه سنة 1946 الأول على دفعته وبدرجة ممتاز.

سنة 1946 سافر إلى فرنسا لإتمام الدراسة ومن هناك عاد فسافر إلى مصر لينتسب إلى كلية الآداب جامعة القاهرة، حيث كان أبوه هو الذي يتولى الأنفاق عليه من فرنسا التي كان يعمل بها. وسنة 1954 تحصل على شهادة الليسانس في الفلسفة بدرجة ممتاز، وكان الأول أيضا على دفعته. ونذكر من بين أساتذته الدكتور علي عبد الواحد وافي، والدكتور عثمان أمين.

وفي شهر أكتوبر من نفس السنة (1954) سجل بجامعة السوربون الفرنسية لإعداد رسالة دكتوراه الدولة في الفلسفة بعنوان "الحرية عند المعتزلة" بإشراف البروفيسور موريس دوغندياك ، لكنه لم يتمكن من إتمامها بسبب اندلاع ثورة التحرير وإضراب ماي 1956.

وفي سنة 1957 رحل إلى ألمانيا ليلتحق بجامعة بون لتحضير دكتوراه في الفلسفة حول مبدأ الحرية عند كانط تحت إشراف البروفيسور تيسن، لكنه لم يكملها أيضا بعد أن تقرر تكليفه ببعض المسؤوليات السياسية كرئيس الوفد الدائم لمكتب التنسيق والتنفيذ لدى الحكومة المؤقتة لجبهة التحرير الوطني الجزائرية.

بعد الاستقلال شغل مولود قاسم عدة مناصب، منها منصب مدير في وزارة الخارجية ثم وزيرا للتعليم الأصلي والشؤون الدينية ومستشارا لرئيس الجمهورية، ثم أصبح مسؤولا في حزب جبهة التحرير الوطني مكلفا بتعميم استعمال اللغة الوطنية ومسؤولا عن المجلس الأعلى للغة العربية.
ولم يتخل الأستاذ مولود قاسم عن طموحه العلمي حتى وهو وزير للتعليم الأصلي والشؤون الدينية بحيث حاول أن يعد للمرة الثالثة رسالة دكتوراه سنة 1973 بجامعة السوربون حول "اللغة والشخصية عند فيخته" وبإشراف دائما البروفيسور دوغيندياك لكن "ما كل ما يتمناه المرء يدركه" فقد منعه ككل مرة منصبه السياسي عن إتمام إنجاز هذه الخطوة العلمية الرزينة.

شهد كل من صاحب الأستاذ مولود قاسم ومن تابع مسيرة حياته عن كثب وكذا من طالع جميع مؤلفاته المطبوعة، أنه كان يتمتع بذكاء ووعي شديدين وبذاكرة بديعة خارقة للعادة، وهو الشيء الذي أهله لتعلم وإتقان خمسة عشر لغة. كان حسب اعترافه شخصيا، يكتب ويحاضر بخمس منها هي: العربية والفرنسية والإنجليزية والألمانية والسويدية، وكان أحد كتبه باللغة الألمانية ويحمل عنوان (ALGERIEN الجزائر). توفي مولود بلقاسم نايت بلقاسم يوم 27 أوت 1992 [بالجزائر](https://www.djazairess.com/city/%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B2%D8%A7%D8%A6%D8%B1) العاصمة ودُفن بمقبرة العالية.

**ثانيا: مؤلفات مولود قاسم:**

مؤلفات مولود قاسم لا يتعدى عددها الخمسة، وهي:

**ـــ كتاب الجزائر Algérien)):** نُشر هذا الكتاب في ألمانيا وباللغة الألمانية، من قِبَل مكتب الجامعة العربية في بون أثناء الثورة سنة 1957م. وهو يمثل مجموع المداخلات والمحاضرات التي ألقاها مولود قاسم أيام الثورة التحريرية باسم جبهة التحرير الوطني عندما كان مقيما في أوربا، في جامعات ومؤسسات ألمانيا الاتحادية والنمسا وهولندا وبولونيا، حيث كان يقوم بأداء واجبه في مناصرة الثورة والتعريف بها وحشد الدعم لها.

**ـــ إنية وأصالة:** كتاب ضخم من 654 صفحة، يجمع بين دفتيه المقالات التي كتبها مولود قاسم في مجلة (الأصالة)، مضافا إليها محاضراته الكثيرة التي ألقاها في أوقات متلاحقة ومناسبات مختلفة، وكذا تعليقاته وتدخلاته الكثيرة أيضا أثناء جلسات ملتقيات الفكر الإسلامي إلى سنة 1975م، نشرت هذا الكتاب وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، وطبعته مطبعة دار البعث بقسنطينة سنة 1975.وقد أطلق المؤلف على مجموع ما تضمنه هذا الكتاب عنوان (إنية وأصالة)، وأراد بذلك أن كل موضوعات الكتاب تدور حول فكرة أساسية أو إشكالية رئيسة عبر عنها المؤلف بقوله: (كيف نكون أبناء عصرنا، مع البقاء على أديم مصرنا، ودون أن نصبح نسخة من غيرنا)

**ــ أصالية أم انفصالية:** كتاب كبير هو الآخر يقع في مجلدين كاملين، يتكون الأول منهما من 416 صفحة، والثاني من 428 صفحة. وهو كذلك يمثل جملة مقالات كتبها مولود قاسم في (الأصالة)، مضافا إليها الكثير من تدخلاته وتعليقاته أثناء ملتقيات الفكر الإسلامي التي نُظِّمت بعد سنة 1975م إلى غاية سنة 1979م. نشرت هذا الكتاب أيضا وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، وطبعته كذلك مطبعة دار البعث بقسنطينة سنة 1980م، وأعادت تصويره المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر العاصمة سنة 1991م.

في مقدمة الكتاب يتحدث المؤلف بمرارة، ظاهرة في كل سطر وفي كل عبارة، عن الظروف العصيبة التي تمر بها أمة الإسلام في هذا العصر، تلك الظروف التي أوقعت فيها الأمة نفسها بنفسها بسبب إعراضها عن قيمها وتعلقها بالخرافات واشتغالها بالانحرافات. ويؤكد أنه ليس للأمة من سبيل للخروج مما تعانيه إلا بالتمسك بالأصالة المقرونة بالمعاصرة.

**ـــ ردود الفعل الأولية داخلا وخارجا على غرة نوفمبر أو بعض مآثر فاتح نوفمبر:** كتاب متوسط الحجم، يقع في 254 صفحة، نشرته دار البعث بقسنطينة سنة 1983م، وأعادت نشره وزارة الشؤون الدينية والأوقاف سنة 2003م، الكتاب كما هو واضح من عنوانه- رصد وتتبع لردود الفعل الأولى التي أعقبت إعلان اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954م، سواء منها تلك الردود التي صدرت في داخل الجزائر من أشخاص أو هيئات، أو تلك الردود التي ترددت في الخارج سواء في فرنسا الدولة المستدمِرة التي قامت الثورة ضدها أو في الدول الأخرى ومنها بالخصوص دول العالم العربي والإسلامي.

**ـــ شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830:** كتاب من جزئين، الأول في 256 صفحة، والثاني في 396 صفحة، وقد نشرته دار البعث بقسنطينة سنة 1985م. الكتاب عبارة عن دراسة علمية مركزة تتناول بالتفصيل رصد الهيبة العالمية التي كانت تحظى بها الجزائر كدولة قوية ذات كلمة نافذة في حوض البحر الأبيض المتوسط قبل أن تتعرض للاستدمار الفرنسي سنة 1830م.

**ثالثا: المشروع الفكري لمولود قاسم**

تندرج أعمال ومؤلفات مولود قاسم ضمن جملة من المحاور الفكرية التي فرضتها الظروف الثقافية والسياسية والتاريخية التي عاشها المجتمع الجزائري خلال عشرين سنة، أي بداية من استعادة السيادة الوطنية في بداية الستينات إلى بداية الثمانينات من القرن الماضي.

ويمكن القول أن أهم القضايا التي شغلت الرأي العام الوطني والساحة الثقافية والفكرية الجزائرية، خلال تلك المرحلة، ووجدت صداها الواسع في فكر مولود قاسم هي:

**1. قضية الأصالة والمعاصرة:**

شغلت قضية المحافظة على الأصول مع مواكبة معطيات العصر، فكر مولود قاسم، واستأثرت بجانب كبير من اهتماماته، خاصة في تلك الفترة الحرجة التي مر بها العالم الإسلامي عامة والجزائر خاصة في السبعينات من القرن الماضي، يظهر هذا في كثير من الموضوعات المنشورة في كتابيه (إنية وأصالة) و(أصالية أم انفصالية)، ففي كتاب (إنية وأصالة)، إلى جانب المقدمة نجد مثلا العناوين الآتية: الإنية والأصالة، أمتم علينا ديننا أماتكم الله، تفتح لا انفتاح، أصالتنا تعني لا إغلاق الأبواب والنوافذ ولا إزاحة السقوف والرفوف، نتسامح ولكن لا نسمح في قيمنا، أبعدوا عنا الخمريات والغلاميات وأعطونا موسيقى وطنية ذات بعد عالمي، بقدر أصالتنا يكون إسهامنا في الفكر الإنساني، معنى التعليم الأصلي، هل كان صوت عائشة عورة؟، عمائم أم غمائم؟، إنما الأمم، اعتبار ماضينا لبناء المستقبل، الإنية والأصالة مع التفتح والعالمية، الانحلال بداية الاضمحلال، الأصالة تتضمن التفتح ونحن من أنصار الحوار مع الجميع، إنيتنا أو مَنِيَّتُنا، الإسلام نظام شامل والعيب فينا… الخ.

وفي كتاب (أصالية أم انفصالية)، نقف كذلك بعد المقدمة المطولة، على جملة من العناوين، ومنها مثلا: الأصالة ليست التقوقع ولا التفرقع، الإسلام دنيا وآخرة، يعاب إسلامنا والعيب فينا، أنيام في خيام ألا من قيام؟، استهلاك أم هلاك؟، صناعة ومناعة، لا قيام بدون قيم، التمسك لا التنسك، العلم عمل، المسجد جامع وجامعة… الخ.

**2. المحافظة على الهوية الوطنية الجزائرية:**

لاحظ مولود قاسم ما واكب مرحلة استعادة السيادة الوطنية من محاولات لطمس الهوية الوطنية وتغريب المجتمع الجزائري، فمن جهة كانت هناك محاولات لتشويه صورة الإسلام واتهامه بالقصور، ومن جهة ثانية كانت هناك محاولات للتملص من اللغة العربية واحتقارها والعمل على تغييبها من واقع المجتمع الجزائري، بذل مولود قاسم أثناء وجوده على رأس وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية جهودا جبارة في المحافظة على مقومات الهوية الوطنية، وقد كانت ملتقيات الفكر الإسلامي وأعداد مجلة (الأصالة) منابر استثمرها مولود قاسم أحسن استثمار في الدفاع عن مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية.

يظهر هذا أيضا فيما نقف عليه من عناوين لمقالات وتعليقات في كتابيه (إنية وأصالة) و(أصالية أم انفصالية).

ففي مجال الدفاع عن الإسلام والكشف عن حقيقة تعاليمه وسموها وحاجة المجتمع الجزائري إليها وتنقيتها مما علق بها، نقف في كتاب (إنية وأصالة) على هذه العناوين: الإسلام ثورة شاملة، جمعة أو أحد؟، جامع كتشاوة عاد إلى أصله ومتى تعود الجمعة؟، الفكر العربي والفكر الإسلامي، نتسامح ولكن لا نسمح في قيمنا، الإسلام دين ودولة ونظام اجتماعي كامل، بعد أربعة عشر قرنا من نزول “اقرأ” أمة أمية لا تكتب ولا تحسب، توحيد الصوم والأعياد من اهم مظاهر الوحدة الإسلامية، خرافة الفصل بين الدين والدولة في أوربا وأمريكا، كنتم خير أمة، دور علماء الإسلام كما كان بالأمس وينبغي أن يكون اليوم ودائما، لا ضرر ولا ضرار، الإسلام نظام شامل والعيب فينا. وفي كتاب (أصالية أم انفصالية)، نجد: الإسلام دنيا وآخرة، شعب الجزائر مسلم، يعاب إسلامنا والعيب فينا، مفهوم العدالة الاجتماعية في الإسلام، العمل عبادة، العروبة بدون الإسلام جاهلية.

وفي مجال الدفاع عن اللغة العربية والعمل على دحر الهجمات التي تشن عليها، نقرأ في (إنية وأصالة): تعريب الأمخاخ والقلوب قبل تعريب الألسنة، قيمة اللغة في نظر بعض الأمم، تكلم لغة قومك، علمية العربية ماضيا ومستقبلا، اللغة والشخصية في حياة الأمم، بربريسك

**3. تنقية تاريخ الجزائر مما علق به من تزييف وتحريف:**

اهتم مولود قاسم نايت بلقاسم رحمه الله بتاريخ الجزائر اهتمام خاصا، وخصص له جانبا كبيرا من أنشطته الفكرية، من كتابات ومحاضرات، سواء في أثناء مرحلة ثورة التحرير، أو في مرحلة ما بعد استعادة السيادة الوطنية، وقد ظل هذا الموضوع يشغله رحمه الله إلى أن لحق بربه عز وجل.

فإلى جانب كتابه (الجزائر) المنشور بالألمانية، والذي عرف فيه بجوانب من شخصية الجزائر وتاريخها، وإلى جانب تكريسه لكتابين كاملين عن تاريخ الجزائر ومكانتها الدولية وعظمة ثورتها التحريرية.

إلى جانب هذه الكتب الثلاثة، نقف في كتابيه الآخرين على كثير من الموضوعات المكرسة للإبانة عن عراقة الشخصية الجزائرية وحضورها العالمي عبر التاريخ.

فنقرأ في كتاب (إنية وأصالة): مغزى الاحتفال بذكرى أمجادنا، كفاح أمة، العيد عيدان عاشر وألفي والذكرى ذكريات، تحية إلى بلكين، لماذا تاريخ الجزائر في هذه الملتقيات؟، إلياذة الجزائر، للأمم أيامها.

ونقرأ في كتاب (أصالية أم انفصالية): أما تزال براقش؟، شعب الجزائر مسلم، الثورة الجزائرية وبعض المخربشين هنا وهناك، منسيين لستم يا بني رستم، اهتمام الأمم بأيامها، لسنا يتامى التاريخ، الجزائر وابن خلدون، هل آل عثمان كالنرمان؟، التاريخ ذاكرة الأمم، استمرارية الأمم أو مواقف ألمانية ونمسوية وسويدية من كفاحنا التحريري المسلح.

**رابعا: ملتقيات الفكر الإسلامي**

ارتبط اسم مولود قاسم بـ"ملتقى الفكر الإسلامي" وساهم في إنجاحه واستقطابه أشهر العلماء والباحثين والمفكّرين، فقد أحدث نايت بلقاسم ثورة في ملتقيات الإسلامية شكلًا ومضمونًا، فخصّص لها مديرية على مستوى الوزارة تتكفل ماديًا وتنظيميًا ولوجيسكيًا من أجل استضافة علماء وباحثين من أقطار العالم الإسلامي. لقد كانت تُرسل الدعوات إلى الأساتذة المحاضرين ستة أشهر قبل انعقاد الندوة وتحديد محاور المحاضرة، ويتم تعيين مدن وأماكن انعقاد الندوة، وعلى المستوى التنظيمي أيضًا، كان يُطلب من الأساتذة إرسال نصوص مداخلتهم مسبقًا من أجل طباعة المداخلة وترجمتها وتوزيعها خلال الملتقى.

كان مولود قاسم يُشرف شخصيًا على افتتاح ملتقيات الفكر الإسلامي، ويُساهم في تحديد المحاور والمواضيع، ويَقفُ على ظروف إقامة وإطعام العلماء والباحثين، وكانت تنظم رحلات سياحية في عدد من المدن الجزائرية.